

الإصدارات

قراءة في كتاب

عنوان الكتاب: سيرة بديع الزمان: بلسانه وأقلام تلامذته.

تأليف: ثلة من طلاب النور.

الترجمة من التركية إلى العربية: حسين عثمان، و خليل جادو، ومحمد أبو الخير

السيد.

عدد صفحات الكتاب: ٩٦٠

سنة النشر: ٢٠١٦

دار النشر: Envar Neşriyat-İstanbul

العنوان الأصلي للكتاب:

Risale-i Nur Müellifi, Bediüzzaman Said Nursi, Tarihçe-i Hayatı

إن حَصَرَ مناقِبِ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ وَكُتَابَتِهَا وَبَثَّهَا لِهَوِّ أَمْرٍ مِنْ أَجْلِ الأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا، خَاصَةً فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي قَلَّ فِيهِ العُظَمَاءُ، وَاحْتِاجِ النَّاسِ إِلَى سِيَرِ قُدَوَاتٍ يَقْتَدُونَ بِهَا فِي أَخْلَاقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ فِي خِضْمِ بَحْرِ هَائِجٍ مِتْلَاطِمٍ مِنَ المِظَاهِرِ وَالثَّقَافَاتِ الَّتِي حَيَّرَتْ الكَثِيرَ مِنَ الشَّبَابِ المُتَقَفِّينَ وَالعَامِلِينَ فِي حَقْلِ الدَّعْوَةِ البَاحِثِينَ عَنِ قُدْوَةِ لَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ الصَّعْبِ؛ وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ نَشْرَ سِيَرِ العُظَمَاءِ وَأَخْبَارِهِمْ بِمَا تَكْتَنِزُهُ مِنْ خَفِيِّ مَنَاقِبِهِمْ وَأَسْرَارِ عِظَمَتِهِمْ أَضْحَى اليَوْمَ مَطْلَبًا مُلِحًّا وَحَاجَةً ضَرُورِيَّةً.

وإنَّ مِنْ جَمَلَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ضَعَّوْا وَقَدَمُوا، جَاهَدُوا وَنَصَحُوا، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ أَرْوَاحُهُمْ وَمُهَجَّهُمْ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، فِي هَذَا العَصْرِ: بَدِيْعُ الزَّمَانِ سَعِيدًا التُّورِسِيُّ.. وَهَذَا نَحْنُ اليَوْمَ أَمَامَ سِيَرَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا طُلَابُهُ المَقْرَبُونَ وَنُشِرَتْ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ مِنْذَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ.. تُقَدِّمُ لِقَرَاءِ العَرَبِيَّةِ.

والْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ السِّيْرَةَ سَفَرٌ حَافِلٌ بِالمَوَاقِفِ التَّرْبَوِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وَالمِشَاهِدِ الوِجْدَانِيَّةِ المُوَثَّرَةِ، وَنَافِذَةٌ تُطَلُّ بِالقَارِئِ عَلَى أَحْدَاثٍ مِفْضَلِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الأُمَّةِ القَرِيبِ، فَتَوْسِعُ رُؤْيَيْتَهُ، وَتَصَقِّلُ فِكْرَهُ، وَتُثْرِي مَعْرِفَتَهُ؛ وَمَشْكَأَةٌ تَرْكِيَّةٌ تَهْدِي نَفْسَهُ وَتُنَوِّرُ بَصِيرَتَهُ.. كَتَبَهَا المُعَدِّونَ بَعْدَ مُضِيِّ ثَلَاثِ قُرُونٍ مَشْحُونٍ بِالحَمَلَاتِ الرِّسْمِيَّةِ المِتْوَالِيَّةِ لِتَشْوِيهِ

سَمِعْتِهِ وَالنَّبِيلَ مِنْهُ، وَصَرَفَ النَّاسَ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَتَخَوَّفَهُمْ مِنْ سُلُوكِ نَهْجِهِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ السَّيْرَةَ لِتُعَرِّفَ بِالْأَسْتَاذِ وَدَعْوَتِهِ، وَتُبَيِّنَ فِي جُمْلَةٍ مَا تُبَيِّنُ بَرَاءَةَ سَاحَتِهِ، وَنَزَاهَةَ شَخْصِيَّتِهِ، وَنِصَاعَةَ صُورَتِهِ، وَسَمَوِّ غَايَتِهِ؛ وَرَبَّمَا وَجَدَ الْقَارِئُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ عِبَارَاتٍ تَفِيضُ ثَنَاءً وَإِكْبَارًا وَإِجْلَالًا لِلْأَسْتَاذِ وَرِسَائِلِ النُّورِ، وَلَا غُرُوبَ فِي الْأَمْرِ، فَقَدْ كَتَبَهَا مَنْ عَرَفُوا بِالْأَسْتَاذِ حَيَاتِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَحَلَّقُوا بِصَحْبَتِهِ فِي عَوَالِمِ غُلُوبِيَّةٍ، وَكَانَتْ مَوْلَفَاتُهُ مِنْهُمْ وَمُرْشَدُهُمْ وَمِرْقَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الرُّوحِيَّةَ، وَحَقِيقٌ بِهِؤْلَاءِ أَنْ يَحْدِثُونَا عَنِ الْأَسْتَاذِ وَرِسَائِلِ النُّورِ حَدِيثٌ مَنْ عَايَشَ وَخَبَرَ، وَذَاقَ وَعَرَفَ، لَا حَدِيثَ مَنْ نَقَلَ وَسَمِعَ، وَأَرَخَ وَقَيَّدَ.

ثم إن السياق الزماني والمكاني الذي تجري فيه أحداث هذه السيرة بالغ الأهمية، وبمراعاته يتجلى لنا جانب آخر منها، فإذا بها قصة إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن في بلد احتضن آخر حواضر الخلافة الإسلامية، وشهد أحد أقسى مشاريع التغريب ومحاربة الدين وطمس الهوية؛ وإذا بها في الوقت نفسه دعوة إصلاح وتجديد أصيلة، راسخة الجذور بعيدة النظر، تنهل من معين الوحي السماوي الخالد، وتتأسى بمنهج الأنبياء هداة البشر وبنية الإنسان على مر الزمان.

وتمتاز هذه السيرة بأنها أجمع سيرة كتبت في حياة الأستاذ التورسي، ومن أقدمها زماناً وأقربها صلةً به، إذ جمعتها المعدون من مؤلفات الأستاذ ورسائله الشخصية ودفاعاته أولاً، ثم أضافوا عليها السرد التاريخي والوصف الشخصي وما يتعلق بذلك من تفاصيل، فكانت وثيقة مهمة، وشهادة دقيقة، ومرجعاً أساسياً لا يُستغنى عنه؛ فضلاً عن أنها أدرجت في "كليات رسائل النور" بوصفها جزءاً أساسياً منها، وحررت بها أن تكون كذلك، فهي بالإضافة إلى سردها سيرة الأستاذ التورسي على تسلسل مراحلها وتنوع جوانبها، تمثل مدخلاً مهماً إلى عالم رسائل النور، إذ تقرب الكثير من مضامينها، وتحوي قطوفاً يانعةً من شتى رياضها.

ومما يلفت النظر في سيرته هذه التي بين أيدينا: أنها تتناول - في معظم نصوصها ومباحثها - الكلام على رسائل النور ودورها وأثرها في حياة الأمة، وبذل الأستاذ ودوره المخلص المضني في سبيل نشرها والانتفاع بها.

وقد حوت نصوصاً وفيرة من رسائل النور ومراسلات الأستاذ بديع الزمان التي تعطي صورةً شاملة عن دعوة النور ومقصدتها وعن منهجية الرسائل وأسلوبها، فليس المراد إذاً من ذكر أحوال الأستاذ التورسي ونشاطه وخدمته لفت أنظار التعجب إليه أو استجلاب استحسان الناس إلى شخصه، وإنما المراد بيان ما تقوم به رسائل النور من خدمة بالغة التأثير في نشر السعادة والنور، وتسليط الضوء على ما بذل بديع الزمان من

معاناة ومكابدة وما قدّم من جهاد ثبات في سبيل دعوته الإيمانية والقرآنية، والرّد على من يريدون تشويه صورته والحطّ من خدمته بافتراءاتٍ وأكاذيب باطلة يبتغون من ورائها إقامة سدّ في وجه الخدمة الإيمانية التي تؤدّيها هذه الرسائل.

كُتِبَتْ هذه السيرة في أواخر حياة الأستاذ التُّورسي رحمة الله، وتعاونَ على إعدادها ثلّةٌ من طلابه الذين تتلمذوا على يديه، وانصّبوا في سلك دعوته القرآنية، ولازموه وعرفوا أحواله عن قرب، وخاضوا معه مَحَنَ السجن والنفي والأذى، وقاموا على خدمته حتى آخر لحظةٍ من حياته؛ وقد شرعوا في تأليفها في حوالي العام (١٩٤٤م)، لكنهم لم يفرغوا منها إلا في العام (١٩٥٨م) بسبب ظروف السجن والنفي والملاحقة؛ وكان الأستاذ لَمَّا عِلِمَ بعزمهم على الأمر، وجَّههم إلى الاقتصار على سرد ما يتعلق بالخدمة الإيمانية من سيرته، وبعد أن أُنجِزَ العمل أُطْلِعَ عليه إجمالًا، فأقرَّهم على بعضه، وأمرهم بحذف البعض الآخر أو تعديله.

ولقد أقرَّ المُعدِّون بأن هذا الكتاب رغم ضخامة حجمه والجهد المبذول فيه، لم يستوفِ جميع جوانب سيرة الأستاذ، ولا جميع تفاصيل أحداثها، ومرّد ذلك إلى طبيعة المحتوى أولاً، والشرط الذي التزمه المُعدِّون ثانيًا، لكنه لا يبخس الكتاب قيمته ومكانته بالتأكيد، فهو وثيقةٌ بالغة الأهمية، ومرجعٌ عمدةٌ في بابه.

تعاونَ على ترجمة هذه السيرة فريقٌ من ثلاثة أشخاص، هم: حسين عثمان، و خليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد؛ وقد تولّى الأخير صياغة الترجمة وتحريزها، وعُهِدَ بالأشعار خاصّةً إلى الأستاذ محمد حسين فترجمها ونظّمها بالعربية، ثم راجع العمل عددٌ من الإخوة الأفاضل والأساتذة أصحاب الخبرة والإطلاع، وتولّى الأستاذ محمد بسام الحجازي المراجعة النهائية، وتخريج الآيات والأحاديث، ووضع فهرسٍ شاملةٍ بآخر الكتاب؛ والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل مرضيًا عنده، مقبولًا بين عباده، يعظّم نفعه ويغتم، وأن يجزي كلَّ من ساهم فيه خيرَ الجزاء، إنه سبحانه خيرُ مسؤولٍ وأكرمُ مأمولٍ؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد بسام الحجازي

١ أبرزهم اثنان، هما: "زبير كوندوز ألب"، و "مصطفى صونغور"، اللذان اقتبسنا نصوصها، وصاغاً محتواها، وربّنا موادّها، وكان للآخرين جهودٌ إضافيةٌ متممة.